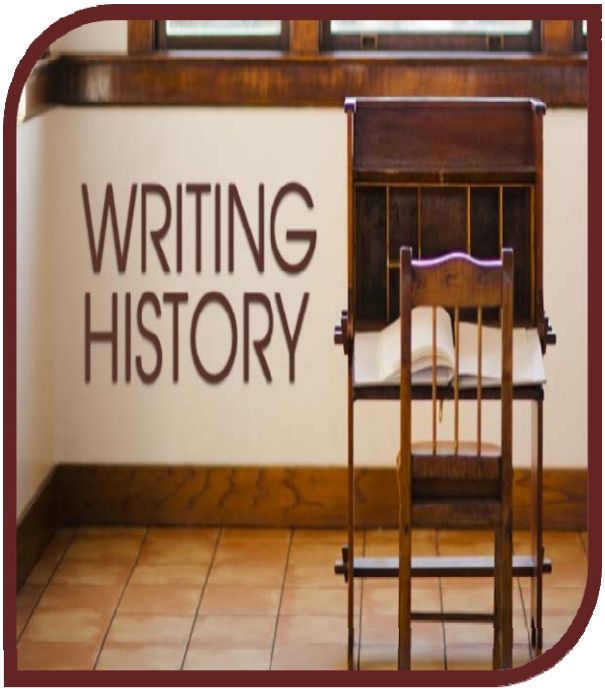

تأثير العوامل الثقافية في الكتابة التاريخية الجزائرية (١٩٦٢ – ١٩٩٦)

بشير بلاح

باحث دكتوراه في التاريخ المعاصر
جامعة الجزائر (٢)
الجمهورية الجزائرية

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

بشير بلاح، تأثير العوامل الثقافية في الكتابة التاريخية الجزائرية (١٩٦٢ – ١٩٩٦).- دورية كان التاريخية.- العدد الثالث والعشرون؛ مارس ٢٠١٤. ص ١١٠ – ١١٧.

www.kanhistorique.org

كان التاريخية: رقمية الموطن .. عربية الهوية .. عالمية الأداء

مُلَخّص

لمّا كان التاريخ علمًا يتوخّى معرفة الماضي، وتحليلها، لاستنباط قوانين وقواعد تنير إمكانات السلوك البشري الحاضر والقادم، وأن المجتمعات لا تحيا فقط في الحاضر بل تهتم أيضًا بالماضي لتحديد منطلقاتها وضبط مساراتها المستقبلية في ضوء ذلك؛ ونظرًا لاطّراد الاختراقات الحداثية العميقة للساحة الثقافية الجزائرية وما ترتب عنها من انقسامات -على أساس اللغة خاصةً باعتبارها وعاء المفاهيم ومحدِّد التصورات الفلسفية والعلمية- في ظل بطء استجابة الفكر الإسلامي لتحديات ومتطلبات الحياة العصرية المتجددة بأصالة وفعالية كما تؤكده هذه المديونية الحضارية؛ فقد تباينت تصورات الجزائريين لتاريخهم، ومنه غدا منهج ومضمون الكتابة التاريخية محل اختلاف ملموس بين المؤرخين الجزائريين. وقد ركزت الدراسة على تأثير عاملين ثقافيين في أعمال هؤلاء المؤرخين: أولاً: تأثير الفضاء الثقافي واللغوي، الذي يستمد منه المؤرخ تصوره للعالم، فاختلفت منطلقات وآفاق المؤرخين الجزائريين وهم يتناولون قضايا تاريخ بلادهم (وغيرها) على أساسه؛ فرجّح بعضهم الرموز العربية الإسلامية حرصًا على الوحدة والأصالة الثقافية، بينما مال آخرون إلى القضايا المعاصرة والجدلية، تحرّيًا لإضعاف جاذبية النماذج التقليدية وتأكيد نجاعة البدائل العصرية والعلمانية في تجاوز الانسداد وتحقيق التقدم. وثانيًا: الإيديولوجيا، فكثيرًا ما شكلت عائقًا إبستيمولوجيًّا منع كثيرًا من المؤرخين من تحقيق قراءة موضوعية لمشكلات واحتياجات الجزائر وحقائق تاريخها. فبينما يمجّد العروبيون والأصاليون -مثلاً- حركة الإصلاح العُلَمائية، ويعيدون مشاكل الجزائر إلى السياسة الثقافية الاستعمارية السابقة وهيمنة الفرنسية بعد الاستقلال، دون التفات إلى العوامل الذاتية التي أطلق عليها مالك بن نبي "القابلية للاستعمار"؛ يثمّن اليساريون والعلمانيون ودعاة الأمازيغية دور الحركات السياسية والثورية، ويعتقدون أن تمكُّن الفرْنسة هو وسيلة التنوير ومناط خلاص المجتمع والدولة.

مُقَدِّمَة

تنوعت العوامل المؤثرة في كتابة التاريخ في الجزائر، فالكتابة من أهم وسائل التواصل الإنساني التي يتم بها الوقوف على أفكار الآخرين والتعبير عما في النفوس، أي مرآة للروح، حتى ذهب بعضهم إلى أن "الأسلوب هو الإنسان"، والكتابة التاريخية لا تشذّ عن ذلك إذ تعبّر عن عقائد أصحابها وتسقطها على أفق ثقافي واجتماعي يتطلّعون إليه، ومستقبل يفكرون فيه ويخططون له. فما من مؤرخ إلا ويضع بعضًا من "ذاته" أو "روحه" أو "نفسه" أو مشاغله (أي ثقافته) في مجال اهتمامه الذي ينهمك في التأريخ له، كما أنه يعكس الأفكار والمشاغل القائمة حين كتب وحيث وضع مؤلّفه التاريخي (ممّا لا ينفكّ عن الثقافة)، وهو ما عبّر عنه كروتشه (B. Croce)[١] بقوله "كل تاريخ حقيقي هو تاريخ معاصر، يعني تاريخ الحاضر."[٢] وقد ذهب "مارك بلوخ"(M. Bloch)[٣] في كتابه

"دفاع عن التاريخ، أو مهنة المؤرخ" إلى أننا "شعرنا أم لم نشعر؛ فإن من تجاربنا اليومية نستعير دائمًا تحليلنا لمختلف العناصر والمواد التي نستخدمها لإعادة بناء الماضي"؛[٤] ما يجعل الكتابة التاريخية -حسب بعض المؤرخين- رهينةَ المؤرخ الذي يضع تاريخًا وليس رهينة الوثيقة، فتكون كتابة التاريخ خطابًا على واقعٍ، وكتابةً على وجود حقيقي، وقراءة معيّنة لتاريخ ما![٥] يضاف إلى ذلك أن كل علاقة وثيقة بالكتابة التاريخية هي - كما عبّر "كيركغارد"[٦] (Kierkegaard)- محاولة خلود، تنطوي بالضرورة على مكنونات أصحابها. وفيما يلي تأثير عاملين منها:

أولاً: تأثير الفضاء الثقافي واللغوي

تعني الثقافة في أوسع معانيها صميمَ الإنسان نفسه؛ أي أنها داخلة في كل ما يتصل بالإنسان فكريًّا وأخلاقيًّا وبدنيًا ونفسيًا، بما يجعله مختلفًا عما سواه من الكائنات. أما بالمعنى المحدود، فتدلّ على ذلك الجانب من الحضارة الذي يجعل كل فريق من الناس أو شعبًا ما يملك تراثًا خاصًّا به، قد يأخذ صورة أسلوب حياة أو مجموعة من المعتقدات والمفاهيم؛ أي كل ما يميّز شعبًا عن آخر.[٧] فالثقافة على هذا الأساس ناظمُ وجود الأفراد والجماعات، وأصل ومرجع كافة التجاذبات والتدافعات التي تعتري علاقات الأمم والمجتمعات في الداخل ومع الخارج، لأنها هي التي تحدّد خصوصياتها، وتصوغ شخصيتها[٨] لذلك تتباين مساعي وأعمال الأفراد والجماعات تبعًا لتصوراتها وقناعاتها عن الحياة والمجتمع. ويترتّب عنه في مجال التاريخ ما هو معروف من تمجيد أو ازدراء أشخاص أو مفاهيم أو أحداث معيّنة، وسعيٍ لإسقاط خصائص بعضها دون بعض على صورة المستقبل التي يريدها هذا الطرف أو ذاك. خاصةً وأن المؤرخ نفسه - كما يرى كولنغوود[٩] (Collingwood)- جزءٌ من الظاهرة التي يدرسها، وأن له مكانه الخاص منها، ويمكنه أن يراها فقط من وجهة نظر يتبنّاها في هذه اللحظة.[١٠]

إن كتابة التاريخ عمل فكري، وإنتاج ثقافي يحاول اكتشاف جذور فكرية في مجال ثقافي معيّن، من أجل تحقيق أبعاد هوية مرغوبة لمجتمع أو أمة ما، ويجعل التاريخ بمثابة "الحاسة السادسة للإنسان الحديث" على حدّ تعبير "نيتشه" (Nietzsche)، حيث يبحث كل جيل فيه عن العناصر التي تفيد في استشراف آفاق المستقبل، وما ذلك إلا إسقاطٌ لآماله وتطلعاته على التاريخ؛ لاستخراج وشرْعَنة ما يعين على رسم توجّهات ومعالم حياته المستقبلية التي يريدها في ضوء قيمه ومبادئه، ما يطابق مقولة "كروتشي" (Croce) الشهيرة (المستشهَد بها أعلاه): "التاريخ بأجمعه هو تاريخ معاصر"، التي تعني أن التاريخ يتألّف أساسًا من رؤية الماضي من خلال عيون الحاضر وعلى ضوء مشاكله.[١١] حتى قال بعضهم أن التاريخ مسرحية تؤلفها الأجيال الماضية وتمثلها الأجيال الحالية. وهكذا؛ تنوعت مواضيع ومقاربات البحث التاريخي، التي قُصد بها استنباطُ قواعدَ ونظم تنير إمكانات سلوك المجتمع والدولة الجزائريّيْن الحاضر والقادم، من خلال صُوَرِ ثقافةِ الجزائر المستقبلية المتعدّدة، التي حاولت طوائف المؤرخين والكتاب الجزائريين رسمها أو الإيحاء بها، تبعًا لخلفياتهم وأهدافهم الثقافية والاجتماعية والسياسية.

من الطبيعي إذن أن يحبّذ الدائرون في فلك الثقافة العربية الإسلامية المواضيع المنطوية على عرض وتوضيح الجذور الثقافية المشتركة للمجتمع الجزائري - رغم حضور مواضيع أخرى[١٢]-، وبيان أطّرادِها، ومدى تمسّك أسلاف الجزائريين بها، باعتبارها مناطَ وحدتهم ومعْقَد نصرهم وارتقائهم، وتأكيد ارتباط الجزائر بالعالمين العربي والإسلامي في كافة المجالات؛ كقضايا تاريخ وحضارة الجزائر والعالم الإسلامي في العصر الوسيط (باعتبارها مُبلورةً لشخصية الجزائر الثقافية والحضارية)، وتاريخ الجزائر الحديث (للحميّته العسكرية في معترك الصراع بين الإسلام والمسيحية، أو بين الغرب والدولة العثمانية، ولبداية تبلور شخصيتها السياسية والاجتماعية في نظر من يرى ذلك)، وانتفاضات القرن التاسع عشر (التي عكست تمسّك الجزائريين بالهوية العربية الإسلامية)، وتاريخ الحركة الإصلاحية (لدورها الرئيس في إعادة بناء الشخصية الجزائرية على أسسها العريقة)، وكذلك ثورة أول نوفمبر ١٩٥٤ التي مثلت القطيعة التامة مع النظام الاستعماري.

من الأمثلة على ذلك: جهود أبي القاسم سعد الله في بعث رموز وذخائر التراث الجزائري العربي الإسلامي، خاصةً في "تاريخ الجزائر الثقافي" (١٩٨١-٢٠٠٧)، وفي أعماله عن أمثال "محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث" (١٩٦١)، و"القاضي الأديب: الشاذلي القسنطيني" (١٩٧٤)، و"رائد التجديد الإسلامي: ابن العنابي" (١٩٧٧)، و"الطبيب الرحالة: ابن حمادوش الجزائري" (١٩٨٢)، و"شيخ الإسلام عبد الكريم الفكّون" (١٩٨٦)، وتحقيقاته لكتابات أعلام الجزائر ك"رحلة ابن حمادوش" (١٩٨٣)، و"منشور الهداية" للفكون، و"تاريخ العدواني"، وغيرها. وعن تأكيده على الوحدة الثقافية للشعب الجزائري أمثلة كثيرة، منها كتابته عن كتاب "الحوض" لمحمد بن علي بن إبراهيم السوسي في الفقه المكتوب بالأمازيغية بحروف عربية، وعن "الأُفعول" في الحميرية والبربرية.[١٣]

وكي لا نقتصر على هذا المثال، نذكر عيّنات أخرى لا تقلّ أهمية تغطي مراحل مختلفة من تاريخ الجزائر وتؤكد هذه الوجهة، كمساهمات وتحقيقات أمثال أحمد توفيق المدني، وموسى لقبال، وعبد الحميد حاجيات، وإسماعيل العربي، ومحمد بن عميرة، وأبو الصفصاف، وعمار هلال، ويحيى بوعزيز بالعربية، وحتى بعض الأطروحات باللغة الفرنسية كأطروحة عمار هلال "المثقفون المعرَّبون الجزائريون بين الهويّة، والحداثة، والوطنية، والاستقلال (١٩١٨-١٩٦٢)"[١٤] أطروحة دكتوراه من جامعة نانسي، ١٩٩٠؛ وأطروحة عبد الله بوشان "دور الإسلام في الثورة الجزائرية"[١٥] من جامعة مونبوليي؛ وأطروحة نذير أحمد "الحركة الإصلاحية

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

الجزائرية ودورها في تشكّل الإيديولوجيا الوطنية"[١٦] أطروحة الدرجة الثالثة، باريس، ١٩٦٨. وكذلك بعض الأدباء والتربويين وعلماء الاجتماع الذين أرّخوا للصحافة والتربية والتعليم والأصالة الثقافية، كتركي رابح الذي تمحور إنتاجه حول التعليم الحرّ في الربع الثاني من القرن العشرين؛ ومحمد ناصر الذي انصبّت جهوده على الصحافة العربية، والحركة الإصلاحية في الجنوب الجزائري في النصف الأول من القرن العشرين، وعبد الله شريط وعمار طالبي في تأصيل ونقد الثقافة الجزائرية، وغيرهم. دون إهمال مساهمات العصاميين في التحقيق والتأليف حول تاريخ الجزائر الثقافي، أمثال عبد الرحمان الجيلالي خاصة في الجزأين الثالث والرابع من تاريخ الجزائر العام، اللذين عُني فيهما بالثقافة الجزائرية الحديثة وأعلامها؛ والمهدي البوعبدلّي، ومحمد علي دبوز، ومحمد بن عبد الكريم، ونور الدين عبد القادر، ومولود قاسم نايت بلقاسم، ورابح بونار، ومحمد الطاهر فُضَلاء، وغيرهم.

وأما المتعلمون بالفرنسية من خريجي المدارس والمعاهد والكليات الفرنسية، فقد عكسوا المعادلة، بتفضيلهم للقضايا المتصلة بالحداثة[١٧] والوطنية والتعدّدية الثقافية (كتاريخ الاتجاه الاستقلالي، والمسألة الأمازيغية، ودور النخبة العصرية الجزائرية، والنضال النقابي، وتحرّر المرأة، وتاريخ الفن، والأدب الشعبي، والمسائل الاقتصادية، وكفاح اليسار ودوره في الحركة الوطنية والثورة التحريرية)، التي تتيح مقاربات عصرية ونقدية، تستلهم المناهج والمفاهيم الغربية، وتضيقُ فيها مساحات التراث والإحالة على التقاليد. ولنذكر بعض الأمثلة الدالة؛ كوردان عمر في "المسألة البربرية في الحركة الوطنية الجزائرية"،[١٨] وشاكر سالم في "بربر اليوم"[١٩] المتّسم حسب "ميني" بشيء مقبول من الإيديولوجيا"،[٢٠] وعاشور كريستين في "أبجدية الصيرورة: الإيديولوجية الاستعمارية واللغة الفرنسية في الجزائر"،[٢١] وبن آشنهو عبد اللطيف في "تكوّن التخلف في الجزائر"،[٢٢] وتلميذة "إيفون توران" (Yvonne Turin): يحياوي فضيلة في "الرواية والمجتمع الكولونيالي في جزائر ما بين الحربين"،[٢٣] وما كتبه جبار عبد الحميد عن "القضية الوطنية والاستعمارية والحركة الشيوعية، حالة الجزائر: الحزب الشيوعي والحركة الوطنية ١٩٣٥-١٩٥٦"،[٢٤] وحضري مجي الدين في "الاتحاد السوفياتي والمغرب، من ثورة أكتوبر إلى استقلال الجزائر، ١٩٧١-١٩٦٢"[٢٥] تقديم محفوظ قداش، وفارس محمد في "عيسات ايدير، وثائق وشهادات حول الحركة النقابية الجزائرية"[٢٦]، وغيرها.

مما ينجم عن هذه الفروق: تركيز الفريق الأول على وجوه الثقافة العربية الإسلامية باعتبارهم أفضل ممثلي الثقافة والمجتمع الجزائريين، كما يجسّده مثلاً "تاريخ الجزائر الثقافي" لأبي القاسم يعد الله، خصوصًا الأجزاء المتعلقة بالفترة ١٨٣٠-١٩٥٤؛ يعتبر الفريق الآخر أن المثقفين بالفرنسية هم مَنْ يستحقّ تمثيلهما، كما قد يستدلّ على الأقل من "المثقفين الجزائريين" لنوارة حسين، التي حصرت كبار المثقفين الجزائريين في تسعة (الأمير خالد، وفرحات عباس، وفرانز فانون، ومولود فرعون، ومولود معمري، وألبار كامو، وكاتب ياسين، ومالك حداد، وجون سيناك)؛[٢٧] واحد منهم فقط مزدوج اللغة هو الأمير خالد الذي كتب مع ذلك أشهر أعماله بالفرنسية، والباقون أحاديو اللغة، منهم ثلاثة أجانب (مارتينيكي، وفرنسيان)، وثلاثة مناضلين يساريين ملتزمين على الأقل، وعدّة اندماجيين،[٢٨] وداعيان إلى الثقافة الشعبية. بينما أهملت على الأقل مالكًا بن نبي (أشهر من كتب عن الثقافة من المسلمين)، وعبد الله شريط. وربما كان المؤرخ الفرنسي "جون ديجو" أدقّ حينما أدرج أحدهم (ألبار كامو Albert Camus) تحت فصل "أدب الفرنسيين في الجزائر"، لا في فصل "أدب الجزائريين"، واعتبر آخر جون سيناك[٢٩] (Jean Sénac) ملهِمًا لأدباء جزائر الستينيات والسبعينيات الشباب بالفرنسية لا واحدًا منهم، رغم ترؤسه اتحاد الكتاب الجزائريين في الستينيات بعدما نسبه إلى الولّه بشيغيفارا (Che Guevara)، والإسراف في تعاطي الكحول.[٣٠] والملاحظ أنّ محفوظ قداش قدّم للكتاب ولم ينبّه إلى ذلك. وهذه صورة من تأثير الميول الثقافية على الكتاب والمؤرخين فيما يقدّرون وينتقون أو يهملون ويحذفون.

كما تطّرد في السياق جهودُ هذا الفريق الثاني في التعريف بالمصادر والمراجع المتصلة بتاريخ الجزائر باللغة الفرنسية بما يمثله من خدمة للباحثين وانفتاح على تلك المصادر، ومساهمة في تقريب وجهات نظر الطرف الفرنسي ومواقفه من القراء والمثقفين الجزائريين وفي تجاوز أو تخفيف حدّة الخلافات التاريخية بين الجانبين. ومن الأمثلة عليه: "البيبليوغرافيا التركيبية للثورة الجزائرية مشروحة ومعلّق عليها" لجيلبار ميني (٦٥ صفحة) بالعدد ١٥/١٤ (خريف وشتاء ٢٠٠١) من مجلة نقد؛[٣١] وكتاب "المعارف التاريخية في المغرب"[٣٢] الصادر عام ٢٠٠٦ عن مجلة "إنسانيات"، المجلة الجزائرية للأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية؛ والعددان ١٩-٢٠ (جانفي-جوان ٢٠٠٣) من نفس المجلة حول "الاسطوريوغرافيا المغاربية: المجالات والتطبيقات"؛[٣٣] وكذلك عدداها ٢٥-٢٦ (جويلية- ديسمبر ٢٠٠٤) حول موضوع "الجزائر قبل وبعد ١٩٥٤".[٣٤]

أما اللغة، فيعنينا هنا تأثيرها الفكري والروحي على الكتابة التاريخية. فهي أهم وسائل التواصل بين الناس؛ أي المرآة التي تعكس الفكر الجماعي. وبما أنها رائد وأساس الحياة النفسية الداخلية على صعيد الخيال كما على صعيد النشاط الفكري والروحي؛ فهي كذلك مكوّنٌ لهذا الفكر. لذلك ذهب "إدوار سابير"[٣٥] (E. Sabir) إلى أن اللغة التي تنتمي إلى مجتمع بشري معيّن، والتي يتكلّمها أبناؤه ويفكّرون بواسطتها هي التي تنظّم تجربة هذا المجتمع، وهي التي تصوغ بالتالي "عالَمه" و"واقعه الحقيقي"، فكل لغة تنطوي على رؤية خاصة للعالم. بينما اعتبر "بنجامن لي وورف"[٣٦] (B. Lee Whorf) اللغةَ أساس تشكُّل الأفكار ودليلاً

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

للنشاط الفكري للفرد، فهي ترسم له الإطارَ الذي تنخرط فيه تحاليلُه للواقع وانطباعاتُه وجميع ما يسجله دماغه؛ لأن العالم ليس سوى فيْضٍ من الصور المختلفة في أشكالها وألوانها يلتقطها دماغ الإنسان وينظّمها بفضل بنية النظام اللّغوي الذي يتكلّمه.[٣٧] وهو نفس ما ذهب إليه "غادامير"[٣٨] (Gadamer) حينما أرجع لغة الأوروبيين التصورية الفلسفية ومشتقاتها، ولغتهم التصورية للعلم الحديث إلى منظور خاص من المنظورات المطبّقة على العالم، ذي أصل إغريقي، مؤدّاهُ التفكيرُ بطريقة تبني العلاقة بعالم الشعوب الهندوجرمانية قبل أي تراث مكتوب آخر.[٣٩]

وذلك ما يؤدي في مجال كتابة التاريخ إلى اعتماد أجهزة مفهومية وقواعد فلسفية ومعايير قيمية مستلهَمَة من هذا الفضاء الثقافي (الحاضِن للمؤرخ) أو ذاك؛ فتباينُ مضامين ومنهجيات كتابة التاريخ؛ خاصة وأن ذات المؤرخ لا تغيب، وأن العلم والمعرفة ليسا نظرًا خالصًا، وإنما سلطة وسلطان في يد من يملكهما.[٤٠] ويمكننا أن نضرب لذلك أمثلة مختصرة من كثرة أسماء الأزّ حسب حالته ونوعه في لغات جنوب آسيا، وتعدّد الأسماء الدالّة على الثلج في أطواره المختلفة عند الإسكيمو، وأسماء الناقة (٢٥٥ اسمًا) والماء (١٧٠ اسمًا) والبئر (٨٨ اسمًا) والسيف والأسد والفرس.. في اللغة العربية. كذلك ما يستحضره المرء من صورٍ ثقافية في أمثالٍ تُضرب لنفس المواقف الإنسانية على تباين المضامين التراثية أو التاريخية. ولنأخذ مثالاً ما يُضرب مثلاً للاستغراق وعدم جدوى المراجعة أو لاتخاذ قرار خطير وتحمّل عواقبه في العربية: "سبَقَ السيفُ العَذَل" الذي قاله ضبّة بن أدّ حينما لامَهُ الناسُ على قتله قاتلَ ابنه في الحرم، وما يقابله في الفرنسية "لقد عبرنا الروبيكون" « ont a franchit le Rubicon » الذي قاله يوليوس قيصر بعدما عبر ذلك النهر الفاصل بين إيطاليا وغاليا دون إذن مجلس الشيوخ، فاندلعت الحرب الأهلية، ففيهما مواضع تأمل عميق.

فضلاً عن تباين معنى المفاهيم من لغة لأخرى، كمفهوم الأمة الذي يتحدّد لدى بعضهم باللغة والأرض، ولدى آخرين بالإدارة أو الدولة، وعند غيرهم بالدين، وغير ذلك. مثال ذلك أن سعد الله يفهم الأمة بالمعنى الإسلامي الواسع، أما المجموعة الوطنية الجزائرية فهي عنده "الشعب الجزائري"، بينما يتضح أثر الثقافة الفرنسية لدى معظم المثقفين بالفرنسية التي تعرّف الأمة فيها بأنها "مجموعة بشرية سياسية متضامنة، مندمجة في دولة إقليمية"،[٤١] كمصطفى لشرف الذي يعتبر الجزائريين "أمة"، كما في كتابه "الجزائر، الأمة والمجتمع"، أو محي الدين جندر في "مدخل إلى تاريخ الجزائر"،[٤٢] وكذلك محفوظ قداش على الأقل في "تاريخ الوطنية الجزائرية ١٩١٩-١٩٥١".[٤٣] وفي ذلك ما لا يخفى من التوجيه والإيحاء بمعاني عقَدِيّة وحضارية ذات تأثير عميق على تصور الدّارسين والصاعدين لطبيعة وموقع ودور المجموعة البشرية الجزائرية في اكتفائيتها الذّاتية، أو تكامليتها الإقليمية (المغاربية) والمِلّيّة (الإسلامية)، وما يترتب عنه من خيارات وتحيّزات وتحالفات. لذلك اشتدّ تأثير لغة التكوين والتأليف (العربية أو الفرنسية أساسًا) على أعمال الكتّاب والمؤرخين الجزائريين من حيث انتقاء المواضيع التي لا بدّ أن تقترب من الفضاء الثقافي للغة البحث، وطريقة المقاربة أو التحليل المقتبسة من ذات المجال الثقافي أو المتأثرة به حتمًا، وفي حدود المفاهيم، في سعيٍ دؤوب لإقناع الجمهور (أو الوصاية والمشرفين بالنسبة للباحثين الجامعيين) وحيازة رضاه من أجل ضمان الشهادة العلمية واكتساب الرواج والمصداقية العلمية أو التجارية.

ثم يأتي ما ينجم عن تنافس تلك الأعمال في الساحة الثقافية والعلمية الجزائرية على استقطاب الجمهور والباحثين، وما يتولّد من توجهات ثقافية وفكرية وطروحات مذهبية أو عقَدية جرّاء التوجيه الذي تمارسه والاستقطاب الذي تُحدِثه، خاصةً وأن الإنتاج بلغة معينة يساهم في تراكم تراثها الثقافي، ويوسّع مجال انتشارها وتأثيرها. ولنا أن نتساءل مثلاً: هل لمقتنعٍ بمنهج وآراء سعد الله أو ناصر الدين سعيدوني أو موسى لقبال - مثلاً- ألا تستغرقه الأجواء والمفاهيم العربية الإسلامية، ولو بإفساح المجال قليلا (أو كثيرًا) للعاطفة ومجاملة الذات، واحتمال الوقوع تحت طائلة النّزعات "الأدبية"، و"الشعرية"، والتغني بـ"أمجادنا" الغابرة، النابعة من فكرة "عصمة الأمة" التي ترعرعت في أحضانها الإسطوريوغرافيا العربية الإسلامية، باعتبار تطورها التاريخي يسيرُ بخطوات يرسمها الله، وأن استمرارها منوطٌ بقوة الإجماع المبرّأ من الخطأ ؟[٤٤] أو أنّ لمتأثّرٍ بكتابات بعض المؤرخين الناقدين ودعاة المراجعة أمثال محمد حربي، وحسن رمعون مثلاً ألاّ تستهويه الثقافة الفرنسية التي يعترفون لها بالأستاذية، بالنظر إلى خصائصها العلمية والمنهجية، ورصيدها التاريخي الموضوعي الكبير الذي يكاد يهيمن على الاسطوريوغرافيا الجزائرية، بالرغم مما شابَهُ من نزعة "مركزية الذات" (Ethnocentrisme) الأوروبية ؟.

ثانيًا: تأثير الانتماء الإيديولوجي

يؤثّر الانتماء الإيديولوجي أيّما تأثير في كتابة التاريخ، إلى حدّ أنه قد يحجب عن المؤرخ كثيرًا من الحقائق، وقد يدفعه إلى غربلة الأحداث والوقائع من أجل انتقاء ما يخدم توجّهاته ويشبع طموحه منها، أو يحمله على التركيز على جوانب معيّنة من التاريخ من أجل إبراز دوره أو دور زعيمه أو تياره الإيديولوجي أو تنظيمه السياسي أو الجمعوي، وإهمال جوانب أخرى، لنفي فضائل المنافسين - بَلْه الخصوم- أو التقليل من أدوارهم ومساهماتهم.[٤٥] على أن ذلك لا ينفي وجود طائفة من المؤرخين النّزهاء الذين لا يقصّرون في تحرّي الموضوعية وبيان الحقائق، وإن كان الجميع يدّعي ذلك. وقد يكون من المفيد المقابلة بين سيرورة مؤرّخيْن من الكبار (كأبي القاسم سعد الله ومحمد حربي) ليتّضح ما سنعرضه في هذا المبحث.

أما سعد الله (خرّيج المدارس الحرّة، والمعلم السابق فيها، والمساهم أيضا في الثورة بفكره وقلمه)، فقد عرفنا مدى اهتمامه

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

بالإصلاح وبالوطنية التي أرهصَت لها النهضة. وأما حربي خرّيج الثانويات والكليات الفرنسية (١٩٥٠-١٩٥٤)، فقد ناضل في صفوف حركة انتصار الحريات الديمقراطية MTLD، وانضم إلى الثورة عام ١٩٥٦. وتولى عدة مسؤوليات، منها عضو لجنة الإعلام والأخبار التابعة لفدرالية جهة التحرير بفرنسا، ثم ترأسها ليصبح عضوًا في لجنة الفيدرالية تحت رئاسة عمر بوداود. لكنه استقال منها لغياب التفاهم بينه وبين رئيسه الذي كان لا يرتاح إليه بدعوى شيوعيته عام ١٩٥٨. ثم عيّن من طرف كريم بلقاسم على رأس الديوان المدني لوزارة القوات المسلّحة رغم نفور الأخير من الشيوعيين. ويفسر محمدًا حربي ذلك بطموح كريم بلقاسم إلى استمالة خاله علي كافي إلى جانبه في صراعه مع بن طوبال وبوصوف، واتخاذه رقيبًا على خاله في آن.[٤٦] تلاه انتقاله إلى وزارة الخارجية ضمن فريق كريم بلقاسم (١٩٦٠)، ثم سعد دحلب (١٩٦١)، وتقلده مناصب هامة فيها، قبل أن يشارك في وفد الحكومة المؤقتة إلى مؤتمر حركة عدم الانحياز ببلغراد سنة ١٩٦١، ويرأس لجنة الخبراء في مفاوضات إيفيان الأولى. لعب دورًا سياسيًا ملموسًا بعد الاستقلال، فشارك (قُبيْله) في صياغة برنامج طرابلس (جوان ١٩٦٢)، وانضم إلى حكومة بن بلة، ثم ساهم في صياغة "ميثاق الجزائر" سنة ١٩٦٤، كما في تنمية التوجه اليساري لحزب جبهة التحرير الوطني.

لكن بومدين قبض عليه بعد انقلاب ١٩٦٥ لتورطه في تشكيل "منظمة المقاومة الشعبية الشيوعية" التي كانت تستهدف النظام الجديد، ليلبث في السجن خمس سنين، فرضت عليه الإقامة الجبرية بعدها، قبل أن يفر إلى فرنسا سنة ١٩٧٣، أين تابع دراسته الجامعية التي انتهت بالدكتوراه سنة ١٩٧٨ بأطروحته "جبهة التحرير الوطني، الأسطورة والواقع، من الأصول إلى استلام الحكم ١٩٤٥-١٩٦٢"، التي نشرها سنة ١٩٨٠ وصارت أشهر أعماله. ونشر عدة أعمال معظمها عن الثورة الجزائرية التي غدا مرجعًا فيها.[٤٧] وعليه، يمكننا تفسير تقليله من دور جمعية العلماء المسلمين -إن لم نقل تحامله عليها كما سيأتي- والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، ومحاولته تبرير بعض مواقف الحزب الشيوعي من الاستعمار الفرنسي، وكذلك تقييمه للقاعدة الاجتماعية للحزب الاستقلالي (حركة الانتصار MTLD) والثورة، التي يراها بروليتارية-ريفية، بائسة (فقيرة)، أمية، متعلقة بالإسلام والعربية، محافظة، مهدوية (مؤمنة بمجيء المهدي) منقادة للعاطفة الدينية، معادية للقيم الأوروبية ولمن يتشبّه بالأوروبيين، ميالة إلى استخدام العنف لتطهير المجتمع الجزائري من الآفات وتوحيد قواه، وفرض الانضباط الأخلاقي والقيمي.[٤٨]

وكأمثلة عن تأثير الانتماء الإيديولوجي والولاء السياسي على انتقاء مواضيع البحث والتأليف نذكر: مساهمة محمد حربي الهامة حول مصالي حاج في "الأفارقة"[٤٩] الصادر تحت إشراف شارل اندري جوليان بباريس سنة ١٩٧٧ من منطلق تعاطفه معه (وهو المعارض التروتسكي الفارّ من الجزائر مثل مصالي اللاجئ في فرنسا) من حيث اعتقاده بكونهما ضحية "البيروقراطية الستالينية"؛ وتقديمه لمذكرات مصالي (إلى جانب شارل اندري جوليان وأجرون) الصادرة بباريس سنة ١٩٨٢؛ وأطروحته المعلمية المذكورة أعلاه: "جبهة التحرير الوطني، الأسطورة والواقع، من الأصول إلى استلام الحكم ١٩٤٥-١٩٦٢"،[٥٠] التي "شرّح فيها بمبضعه الأحداث البارزة وكذلك المجهولة، وقام فيها بتحليلات مُرعِبة أحيانًا، لشدّة صقلها بصرامة متلطِّفة، لكنها لا تقدّم التنازلات" على حد تعبير رفيقه "جلبار مينيي";[٥١] وعمل محفوظ قداش ومحمد قنانش حول "نجم الشمال الإفريقي (١٩٢٣-١٩٣٧)" الصادر في الجزائر سنة ١٩٨٤ باللغتين (١٣٠ صفحة بالعربية، و١٥٥ صفحة بالفرنسية)؛ و"حزب الشعب الجزائري ١٩٣٧-١٩٣٩" الصادر في الجزائر سنة ١٩٨٥ (٢٨٦ صفحة بالفرنسية والعربية) لنفس المؤرخيْن؛ وتكريس محفوظ قداش الجانب الأكبر من أطروحتَه "تاريخ الوطنية الجزائرية" المذكورة آنفًا لنجم شمال إفريقيا/ حزب الشعب/ حركة انتصار الحريات الديمقراطية؛ ودرويش محمد في "الحركة الكشفية، مدرسة الوطنية"[٥٢] الصادر في الجزائر سنة ١٩٨٥؛ أو حتى خليل محمد في "بلاد القبائل، أو التضحية بالأسلاف";[٥٣] ومعمري خالفة في "عبان رمضان، بطل الثورة الجزائرية"،[٥٤] وغير ذلك كثير. وهذا مقابل تثمين دور الحركة الإصلاحية ورموزها، وإبراز الجذور الثقافية للمقاومة الجزائرية مثلاً من طرف آخرين مما أوردنا عليه بعض الشواهد آنفاً وسيرِدُ غيرُها.

كما تفيدنا - في مجال تقييم المنظمات والهيئات السياسية والجمعوية- مقارنةٌ سريعة بين بعض المواقف المتباينة من قضايا محددة وحساسة. فأبو القاسم سعد الله - مثلاً- معروف بتقديره لدور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، خاصةً نسبةً فضل إحياء المجتمع الجزائري وإعداد أرضية الثورة إليها، بل المساهمة القوية في انطلاقها، كما في قوله "أنّ انتفاضات الجزائريين خلال القرن الماضي كانت تقوم على البندقية وحدها، فلم تفلح، أمّا نوفمبر فقد سبقه بعث حضاري ووعي فكري (إشارة إلى عمل الإصلاحيين)، ومن ثمّة نجحت البندقية"،[٥٥] واعتباره أن الجزائر كانت ستكون بدون جمعية العلماء كريشة في مهبّ الريح سنة ١٩٥٤، وقوله "ويبقى أن نعرف مستقبلاً كم من الذين فجّروا الثورة كانوا من خِرّيجي خلايا حزب الشعب، وكم منهم كانوا من خريجي مدارس جمعية العلماء".[٥٦] بينما لا يثمّن -مثلاً- أدوار اليساريين أو الاندماجيين السابقين الملتحقين بالثورة.

وفي أمر قد يكون ذا صلة، يلاحظ توقّف تأريخ سعد الله للحركة الوطنية عند العام ١٩٤٥ (باستثناء الجزء العاشر من تاريخ الجزائر الثقافي الذي كتبه بناء على تعاقد مع المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ١٩٥٤)، حيث يعود ذلك في تقديرنا إما إلى ضعف تأثير العلماء في الساحة الجزائرية بعد غياب ابن باديس، مقابل ارتفاع أصوات منافسيهم

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

السياسيين، مما قلّل حماس سعد الله لمرحلة (١٩٤٥ – ١٩٥٤)؛ أو لتراجع النشاط الثقافي (الذي يحظى بالأولوية لديه) مقابل اتساع رقعة العمل السياسي بقطع النظر عن نجاعته وحصيلته. وفي المقابل ينفي محمد حربي- مثلاً- عن العلماء أيّ دور وطني أو مساهمة ثورية، فيقتبس عبارات أحمد نذير (المتعاطف مع الإصلاحيين) دليلاً له، حيث ينقل عنه أنهم "ينحدرون في الأغلب من أصول بورجوازية، بالنظر إلى أوضاعهم المادية الميسورة، والثقافة التي كانوا ينتسبون إليها. فما الذي يجمعهم بـ أولائك الفلاحين المعدَمين الذين التحقوا بالجبال؟ وبأشباه البروليتاريين الذين بثّوا الرّعب في المدن؟ وبـ أولائك العصاميين الذين تزعموا حركة التحرّر؟".[٥٧]

ثم يذهب إلى أنّ خشية العلماء لجبهة التحرير غداة الثورة كانت كبيرة إلى درجة أن زعيمَهم الشيخ البشير الإبراهيمي الذي كان بالقاهرة سوف يحتمي بمصالي- الذي لم يكُن يُكِنُّ له الوُدّ مع ذلك- لاتّقاء شرّ هذه الحركة الناشئة (أي الثورة).[٥٨] كما يشكو - في الشأن الثقافي- من أنّ نشاطَ العلماء الفكريّ قد أعاقَ انفتاحَ المجتمع الجزائريّ على الثقافات الأخرى.[٥٩] بينما لا يخفي تأثّره بالماركسية، وخاصةً بالتروتسكية المناوئة لـ"البيروقراطية البورجوازية"، التي اكتشفها داخل نظام جبهة التحرير الوطني إبان الثورة وبعد الاستقلال،[٦٠] وقادته أيضًا إلى المطابقة بين معاناة تروتسكي ومصالي حاج من التهميش والاضطهاد على يد "البيروقراطية الستالينية".[٦١] ويبلغ الأثر الأيديولوجي مداه حينما يلتمس الأعذار للحزب الشيوعي الجزائري قبل وبعد ١٩٥٤،[٦٢] رغم ستالينية هذا الحزب ومعاداته المعروفة للتروتسكيين. ويعود ذلك التبرير إلى القاسم المشترك الماركسي.

كما نلمس شيئًا من الإيديولوجيا لدى محفوظ قداش (المناضل في صفوف حزب الشعب/ حركة الانتصار) في أطروحته المعلمية "تاريخ الوطنية الجزائرية (١٩١٩-١٩٥١)". فهو يؤكد هيمنة "المنظمة الجماهيرية القوية حزب الشعب (PPA)/ حركة الانتصار للحريات الديمقراطية (MTLD) على الساحة السياسية الجزائرية، وإجبارها بجذريتها الأحزاب الأخرى على إيلاء القضية الوطنية أهمية مطّردة".[٦٣] بينما يصف مقاربة العلماء للقضية الوطنية بأنها "دينية"،[٦٤] وبأن جمعيتهم كانت تبحث عن حلّ في الإطار القانوني الاستعماري،[٦٥] ويبرئ الشيوعيين من "الإصلاحية" ويعتبر أنهم سرعان ما اعتنقوا مبدأ الاستقلال الوطني بعد بعض التردد.[٦٦] ويحصر عمل تهديد النظام الاستعماري ما بين (١٩٢٧) و(١٩٣٥) في نجم شمال إفريقيا والحزب الشيوعي وحدهما.[٦٧]

وفيما يلي جدول بتردّد أسماء رموز الحركة الوطنية الكبار (مصالي- ابن باديس- عباس) في كتابيْ سعد الله: "الحركة الوطنية الجزائرية" بأجزائه الأربعة (١٨٣٠-١٩٤٥)، ومحفوظ قداش: "تاريخ الوطنية الجزائرية (١٩١٩-١٩٥١)" بجزأيه، مع اعتبار فارق الإطار الزماني والتركيز التاريخي:

المؤرخ/ الرمز	مصالي حاج	فرحات عباس	عبد الحميد بن باديس
قداش	١٦٣ مرة	١٠٩ مرات	٦٧ مرة
سعد الله	٤١ مرة	٧٠ مرة	٥٤ مرة

ومنه يتضح البوْن الشاسع بين تقدير الرجلين لقادة العمل الوطني بتأثير العوامل الأيديولوجية والسياسية المنطلقة من خلفية ثقافية، في رأي من يرى أن المواقف السياسية لا تعدو كونَها استجابات ثقافية؛ تصدر عن قناعات ونظرات خاصة حول الوجود والإنسان في أصله وقيمته، وعلاقته بالكون، ومصيره، لتقوم بتشكيل هوية المجتمع والأمة، وتنظيم العلاقات بين الأفراد والجماعات.

خاتمة

تعدّدت الآراء في مجال الكتابات التاريخية الجزائرية وتنوعت، فغدت ساحته خضمًّا من النظرات والتصورات والحجج المتباينة، تقابَلَ فيها التقليدي والعصري، والقديم والجديد، والأصيل والوافد؛ بما حتّمه واقعُ وطبيعة فصائل المجتمع والدولة، وسعيها إلى إنجاز التوازنات أو التسويات أو الاختراقات الكفيلة بتحقيق تطلعات ومصالح المجتمع والدولة في معتركات التنمية أو التأصيل أو التحديث، بحسب تفاوت تقديرات مختلف تلك الفئات لما تحسَبه أكثر ضمانًا للفعالية الحضارية، وأدْعى إلى حيوية وتقدم المجتمع. ومن هنا، تكونت رؤى وطروحات تسعى إلى إثبات قيمها، لتكون منظومةً متكاملة تقنع الجمهور أو تحملُه على تبنّيها وتمثُّلها في سبيل تحديد معالم حياته الاجتماعية وأفقه الحضاري.

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

الهَوامِشُ:

(١) **بنديتو كروتشي (١٨٦٦-١٩٥٢)**: فيلسوف ومؤرخ وسياسي إيطالي، هيغلي، ثم ماركسي، فليبرالي. يدمج الفلسفة بالتاريخ. آمن بالعقل، ونسب الإبداع إلى الحدس، وجعله مستقلاً عن السياسة والنظريات الفلسفية.

(٢) جوزف هورس، **قيمة التاريخ**، ترجمة نسيم نصر (عويدات، بيروت، ١٩٧٤)، ص ١٩.

(٣) **مارك بلوخ (١٨٨٦-١٩٤٤)**: مؤرخ فرنسي، منظّر "التاريخ الجديد". اشتهر بتأسيس مجلة "حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي" (Annales d'histoire économique et sociale) سنة ١٩٢٩ وتنشيطها بالتعاون مع "لوسيان فابر" Lucien Febvre (١٨٧٨-١٩٥٦) (ثم فرنان برودال Fernand Braudel (١٩٠٢-١٩٨٥))، وهي المجلة التي اعتبر البعض أنها قامت بأكبر جهد تجديدي على صعيد منهجية ومقاربات الفكر والبحث التاريخيين في القرن العشرين، من خلال التركيز على الحقائق الجماعية والبنيوية الاقتصادية والاجتماعية بدلا من الأفراد والأحداث؛ وتوظيف العلوم الاجتماعية الأخرى في مجال التاريخ.

(4) Charles-Olivier Carbonell (Sous la direction de-), *Les Sciences historiques de l'antiquité à nos jours* (Larousse, Paris, p. 232.

(٥) أحمد جدي، **محنة النهضة ولغز التاريخ في الفكر العربي الحديث** (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٥)، ص ١٧- ١٨.

(٦) **سورن كيركغارد (١٨١٣-١٨٥٥)**: فيلسوف قسّيس دانماركي. مؤسس الفلسفة الوجودية القائمة على النظر في الإنسان على "ما يوجد" لا تحليل ماهيته المجرّدة. دعا إلى مذهب يستولي على الإنسان في إنّيّته (Eccéité) (أي يحقّق وجوده العيني من حيث مرتبته الذاتية) وبضعه في علاقة شخصية مع الله، وخلص إلى أن المسيحية وحدها تضع علاقة شخصية بين الفرد والله.

(٧) حسين مؤنس، **الحضارة** (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤١٩/ ١٩٩٨)، ص ٣٧٩، ٣٨٠.

(٨) ميكل تومبسون (Michael Thompson) وآخرون، **نظرية الثقافة**، ترجمة علي سيد الصاوي (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٤٢٠/١٩٩٩)، ص ٣٦.

(٩) **روبن جورج كولنغوود (١٨٨٩-١٩٤٣)**: فيلسوف ومؤرخ بريطاني مثالي. اشتهر بكتابه "مفهوم التاريخ" الذي أثّر عميقًا على الفلسفة النقدية التاريخية بعد الحرب العالمية الثانية. كان حجّة في تاريخ بريطانيا في العهد الروماني، وله مساهمات أصيلة في علم الجمال، وفلسفة التاريخ.

(١٠) هانز- جورج غادامير Gadamer، **الحقيقة والمنهج**، ترجمة حسن ناظم (دار أويا، طرابلس، ٢٠٠٧)، ص ٦٩٥.

(١١) إدوار كار، **ما هو التاريخ؟**، ترجمة ماهر كيالي (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠)، ص ٢٢.

(١٢) رغم حضور المواضيع الأخرى السياسية والاجتماعية، إلا أنها تستمدّ جدواها ومبرّراتها غالبًا من المشروعية الثقافية المستندة إلى الدفاع عن الهوية الجزائرية في وجه محاولات الإلغاء أو الدمج الفرنسية، وتداعياتها التي عمّقت عوامل الضعف الذاتي للشخصية المسلمة المتفاقمة عبر القرون، وهي العوامل التي نراها في صلب أزمة العالم الإسلامي الحضارية الراهنة، بينما يغفل عنها من لا يرى سوى نتائجها؛ وهي: ارتهان المسلمين الشامل في العصر الحديث.

(١٣) **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر** (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧)، ج ٤.

(14) Les intellectuels arabophone algériens entre l'identité, *le modernisme, le nationalisme et l'indépendance (1918-1962)*, thèse d'état dactylo., Nancy, 1990.

(15) *Le rôle de l'islam dans la guerre d'Algérie*, thèse 3e cycle histoire, université de Montpelier III, 1975.

(16) *Le mouvement réformiste algérien*. Son rôle dans la formation de l'idéologie nationale, thèse de 3e cycle, Paris, 1968.

(١٧) **الحداثة**: هي المواكبة الواعية للعصر، والفعل فيه على كافّة الأصعدة. وهي أيضًا مرحلة من التاريخ، وحالة فكرية وثقافية ثورية فرضت نفسَها في أوروبا أواخر القرن الثامن عشر، تتميّز بعناصر ثلاثة هي: تحرر الفرد، والتطوّر الهائل في العلوم والتكنولوجيا، وهيمنة الاقتصاد.

(18) *La question berbère dans le mouvement national* algérien*, 1926-1980*. Dar el Ijtihad, Alger, 1993.

(19) Berbères d'aujourd'hui, *L'Harmattan*, Paris, 1989.

(20) Gilbert Meynier, *Bibliographie synthétique de la guerre d'Algérie*, in NAQD , Histoire et politique N° 14/15, Automne/Hiver 2001, p. 150.

(21) Abécédaire de devenir. *Idéologie coloniale et langue française en Algérie*, E.A.P., Alger, 1985.

(22) *Formation du sous-développement en Algérie, 1830 - 1962*, Imprimerie commerciale, Alger, 1978.

(23) *Roman et société coloniale dans l'Algérie de l'entre-deux-guerres*, ENAL- GAM, Alger- Bruxelles.

(24) *La question nationale et coloniale et le mouvement communiste, le cas de l'Algérie. Le parti communiste et le mouvement nationaliste 1935-1956*, thèse sc. p., Grenoble, 1975.

(25) L'U.R.S.S. et le Maghreb, *De la révolution d'octobre à l'indépendance de l'Algérie, 1917-1962*, L'Harmattan , 1985.

(26) Aisat Idir, *Documents et témoignages sur le syndicalisme algérien*, ENAP-ENAL, Alger, 1991.

(27) Nouara Hocine, *Les intellectuels algériens, Mythes*, Mouvances et Anamorphose (Dahlab-ENAG, Alger, 2005), pp. 193-232.

(٢٨) لنتأمل مثلاً تصريح مولود معمّري: "إن اللغة الفرنسية لا تمثل بالنسبة إليّ لغةَ العدوّ الممقوتة، بل أداةً تحرّر منقطة النظير، وهي بالتالي أداةُ تواصلٍ مع بقية العالم. وأعتقد أنها تعبّر عن مكنونِ نفوسنا أكثر مما تخوننا". راجع:

Abdallah Mazouni, *Culture et enseignement en Algérie et au Maghreb* (Maspero, Paris, 1969), p. 221.

(٢٩) **وهراني المولد**، ساهم مع مولود معمري ومراد بوربون في تأسيس الاتحاد العام للكتاب الجزائريين سنة ١٩٦٣. تجهمت له السلطات بعد انقلاب ١٩٦٥.

(30) Jean Déjeux, *La littérature algérienne contemporaine* (Presse universitaire de France, Paris, 1975), p. 89.

(31) Gilbert Meynier, *Bibliographie synthétique de la guerre d'Algérie annotée et commentée*, in NAQD , Histoire et politique N° 14/15, Automne/Hiver 2001.

(32) Savoirs historiques au Maghreb, Insaniyat, Editions CRASC, Oran, 2006.

(33) Insaniyat, N° 19-20 (Janvier-Juin 2003).

(34) Insaniyat, N° 25-26 (Juillet-Décembre 2004).

(٣٥) **إدوار سابير**: فيلسوف وعالم لغوي أمريكي، من أعلام المدرسة البنيوية الأمريكية في النصف الأول من القرن العشرين.

(٣٦) **بنجمن لي وورف**: لغوي أمريكي، ذاع صيته في الثلث الثاني من القرن العشرين بفكرة "أن لكل لغة عالم كلي خاص كفيل بصياغة نظرة إلى العالم لا تطابق أية نظرة تنطوي عليها اللغات الأخرى".

(٣٧) أنظر:

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

Umberto Eco, La recherche de la langue parfaite (Editions Seuil, Paris, 1994), pp. 37,135, 373.

(٣٨) **هانز-جورج غادامير** (١٩٠٠-٢٠٠٢): فيلسوف ألماني. مؤسس التأويلية (L'herméneutique) المعاصرة، خاصة من خلال كتابه "الحقيقة والمنهج" (Wahrheit und methode) ١٩٦٠ . وهذه التأويلية تقوم أساسًا على أن اتضاح معنى النص لا يتم بفهم الفقرات المفردة، وإنما بتراكم فهم مجموع هذه الفقرات وإدراك أبعادها الكلية، وعدم الاقتصار على القراءة الحرفية.

(٣٩) غادامير، الحقيقة والمنهج، مرجع سابق، ص ٦٩٦.

(٤٠) انظر مثلاً: سالم يفوت، سلطة المعرفة (دار الأمان، الرباط، ١٤٢٦/٢٠٠٥)، ص ٥٥-٧٤.

(41) Lemnouer Merouche, *Conjonctures intellectuelles et notions de groupe*, in NAQD Histoire et politique N° 14/15, Automne/Hiver 2001, p.57.

(42) Mehieddine Djender, *Introduction à l'histoire de l'Algérie* (ENAG Editions, Alger, 2009), p. 73.

(43) Mahfoud Kaddache, *Histoire du nationalisme algérien* (ENAL, Alger, 1993),T. 1, p. II.

(٤٤) هاملتون غب Hamilton Gibb، **دراسات في حضارة الإسلام** (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩)، ص ١٨٥-١٨٦.

(٤٥) قارن على سبيل المثال بين مقاربات المؤرخين السنة والشيعة والإباضيين والصوفيين واليساريين مثلاً لمختلف جوانب التاريخ الإسلامي من الفتنة الكبرى إلى اليوم؛ وبين مقاربات أمثالهم من المؤرخين الأوروبيين "التقدميين" والليبراليين و"المحافظين" كذلك لقضايا وأحداث تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر: أو المؤرخين المسلمين والمسيحيين لتاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصرين الوسيط والحديث. وأقرب الأمثلة إلى موضوعنا المقارنة بين تناول كلٍّ من الجزائريين والفرنسيين لتاريخ الجزائر، وتناول الكتاب والمؤرخين الجزائريين للانقسامات والصراعات إبان ثورة التحرير.

(46) Mohammed Harbi, *Une vie debout-mémoire politique-tome 1 : 1945-1962* (Casbah éditons, Alger, 2001), pp. 255-261.

(٤٧) أهمها:

Aux origines du FLN, *Le Populisme révolutionnaire en Algérie*, Bourgois, Paris, 1975; Le F.L.N mirages et réalité-des origines à la prise du pouvoir (1945-1962) Editions Jeune Afrique, Paris, 1980; *Les archives de la révolution algérienne*, Editions Jeune Afrique, Paris, 1981; *La Guerre commence en Algérie*, Editions complexe, Bruxelles, 1984; *L'Algérie et son destin*,Croyants ou citoyens, Arcantère Editions, Paris, 1992.

(48) Mohammed Harbi, *L'Algérie et son destin*, op. cit., pp. 231-247.

(49) Charles-André Julien (dir.), *Les Africains*, Jeune Afrique, Paris 1977.

(50) Mohammed Harbi, *Le F.L.N mirages et réalité-des origines à la prise du pouvoir (1945-1962)* éditions Jeune Afrique, Paris, 1980.

(51) Gilbert Meynier, *Bibliographie synthétique de la guerre d'Algérie*, op. cit., p. 127.

(52) Le scoutisme, *école du patriotisme*, OPU, Alger, 1985.

La Kabylie ou l'ancêtre sacrifié, L'Harmattan, 1984.53

(54) Abane Ramdane, *héros de la guerre d'Algérie*, L'Harmattan, 1998.

(٥٥) **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، مرجع سابق، الجزء٤، ص ١٤.

(٥٦) نفسه، ص ١٤٧-١٤٨.

(57) Mohammed Harbi, 1954, *La guerre commence en Algérie* (Editions Barzakh, Alger, 2005), p. 45.

(58) Idem.

(٥٩) المرجع نفسه، ص ٢٤.

(60) Mohammed Harbi, *Le F.L.N mirages et réalité-des origines à la prise du pouvoir (1945-1962)* (éditions Jeune Afrique, Paris, 1980) pp.293-312.

(61) Ibid., p. 6.

(62) Ibid., pp. 136-138.

(63) Mahfoud Kaddache, *Histoire du nationalisme algérien* (ENAL, Alger, 1993),T. 1, p. IV.

(64) Ibid., T. 1, p. III.

(65) Ibid., T. 1, p. IV.

(66) Ibid., III

(67) Idem.

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449